عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى
تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اى اتجادلوننا والحال انه لا وجه
للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اى مالك امرنا وامركم ولنا اعمالنا الحسنة لا من ولكم اعمالكم
السيئة المخالفة لحكمه ونحن له تعالى مخلصون فى تلك الاعمال لا نبتغى بها وجهه فانى لكم المحاجة
وادعاء حقيقة ما انتم عليه والطمع فى دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وكلمة ام فى قوله
ام تقولون اما عادلة للهمزة فى قوله تعالى اتحاجوننا داخلة فى حيز الامر على معنى اى الامرين تأتون
اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد و
الافتراء على الانبياء وتقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا
هودا او نصارى فنحن به مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة
مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الا
فتراء على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهى منقطعة
لا غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام
على نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا فى شأن الله واصطفائه نبيا
من العرب دونكم لما روى ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت
ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم
يصيب برحمته من يشاء من عباده ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم لانه الزمهم على كل مذهب
ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء
واما افاضة حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص فكما ان لكم
اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى فى اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اى لا انتم فمع عدم ملاءمته
لسياق النظم الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح فى نفسه
لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب فى
الصلاح والسوء ابدا دائر على موافقة الدين المبنى على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار
تلك الاعمال فى استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب قل أأنتم اعلم
ام الله اعادة الامر ليس لمجرد تأكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما
بعده ليس متصلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما لحق قد ضرب
عنه الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم بما وبخوا عليه من الافتراء على الانبياء عليهم
السلام كما فى قوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون

وقوله

وقوله عز وجل قائلا أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذى كرمت على فان تكرير قال فى الموضعين
وتوسيطه بين قولى قائل واحد للايذان بان بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالاول والثانى بما
بعده والاستتباع كما حرر فى محله اى كذبهم فى ذلك وبكتهم قائلا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون
وقد نفى عن ابراهيم عليه السلام كلا الامرين حيث قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم
السلام اتباعه فى الدين وفاقا فكيف تقولون ما تقولون سبحان الله عما تصفون ومن
اظلم انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله وهى شهادته
تعالى له عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلى آنفا فعنده صفة
لشهادة وكذا من الله جيء بهما لتعليل الانكار وتأكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من
جناب الله تعالى من اقوى الدواعى الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع انه
متأخر فى الوجود لمراعاة طريقة الترقى من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب
حيث كتموا الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء
الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها خارجة عن دائرة البيان او لا احد اظلم منا لو كتمناها
فالمراد بكتمانها عدم اظهارها فى مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب على نحو ما
اشير اليه وفى اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم
شهادة الله عز وجل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة والانجيل وما الله بغافل عما تعملون
من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام
دخولا اوليا اى هو محيط بجميع ما تأتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ
عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى
ومن اظلم الى آخر الآية مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك
امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة فى
الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا
تحذيرا عن الاقتداء بهم المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود
سيقول السفهاء اى الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض
عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات
الكذاب المتعمد على خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روى عن
ابن عباس ومجاهد قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقته

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)